من الأدب الهندى

لاتيكا

قصة الشادات

ترجمة : حسن فتحى خليل

فى قلب البنغال تربض قرية صغيرة تحت السحب الغضبى المسرعة ، حيث تبحث الطيور فى أعشاشها عن خلانها ، وتتساقط أوراق الشجر الذابلة .

أضيئت المصابيح فى القرية ، وكانت لاتيكا جالسة الى نفسها على عتبة الباب وهى تتأمل السماء الباكية . كان قلبها مفعما بالدموع ، فليس هناك فى الدنيا بأجمعها أسى يضارع الاسى الذى ينوء به قلبها ..

انها فى الرابعة عشرة فحسب ! اربعة عشر عاما ! تلك السن التعسة الحزينة ! ان ثقل الدنيا بأكملها يطبق عليها ، واكتمال الزهور النضرة يخجلها ، وامتلاء جسد أمها الناضج بجرح شعورها .

كانت تلاحظ أمها بعينى صبية مفعمة بالغيرة ، وهى تجلس على الارض تجهز الخضار لطعامهم ، منهمكة فى عملها والاساور تهتز فى يدها فتصدر عنها موسيقى رائعة تقطع سكون الغرفة كانت تمسك بكل قطعة من قطع الخضار ثم ترمى بها فى الوعاء النحاس فتشعر لاتيكا انها تباركها بمجرد لمس أصبعها لها .. كما يحدث فى المعبد اذ تبارك لمسات الكاهن كل القرابين .

كانت لاتيكا تشعر بتلك اللمسات المقدسة حين تضع أمها يد هاعليها .. أن هذه اللمسات تملكها كل نساء القرية .. النساء المتزوجات .. لا الفتيات العذراى .. وزفرت زفرة حارة وهى تمد ذراعيها تتأملهما ، يالها من ذراعين هزيلتين اين منهما ذراعا أمها البيضتان وتأملت لاتيكا شجرة الفاكهة التى تنوء بثمارها .. ان جسد أمها لشبيه بهذه الشجرة .

ندت عنها زفرة أخرى وهى تفرق بيديها زهور النيلوفر المتجمعة فى القدير .. وانحنت لترى صورة جسدها فى فى الماء .. فامتلأت عيناها بالدموع

وسرعان ما استدارات فعادت الزهور الى مكانها لتخفى خجلها .

ان لاتيكا فى الرابعة عشر فحسب ، ولكن الاسى يملأ قلبها ، انها تشعر بحنين غريب يسرى فى جسدها الصغير ان الزهور تعرف كنه هذا الحنين .. لانها تبتسم وهى تمر بها . وكذلك تعرفه نساء القرية ، لا نهن يتأملنها ثم يقلن « ان لاتيكا ستغدو امرأة رشيقا »

ولكن لاتيكا كانت تعجب لذلك وتسأل اترابها « يقولون انى سأغدو امرأة قريبا .. فاذا ما أصبحت كذلك هل ستكون للمساتى رقة لمسات والدتى . »

فيقلن « لا ندرى .. ولكن من المؤكد انه سيكون لك زوج حينئذ »

وأحيانا كانت والدتها تفاجأ بعينيها الواسعتين الصامتتين وهى ترمقانها لمدة ساعات طويلة فتقول « لا تيكا .. أتحلمين ؟ »

فتجيبها فى رقة وما زالت عيناها محملقتين فى والدتها :

« كم أنت جميلة يا أماه ! ..

فترتبك والدتها وتقول « يالك من فتاة غريبة ! »

وتشعر حينئذ انها قد سفهت أحلام ابنتها فتسرع قائلة :

« تعالى ساعدينى فى التنظيف »

فتقوم لاتيكا فى خفة وتذهب لمعاونة والدتها والسرور يملأ نفسها :

وفجأة تلاحظ أن هناك فارقا بينها وبين والدتها ، ان تلك الموسيقى التى تصدر عنها أثناء عملها تختلف عن الموسيقى الصادرة عن أمها ، فموسيقاها هى انما هى موسيقى سطحية أما موسيقى والدتها فهى تصدر عن شىء خفى لاتعرف كيف تحيط بها المكان .

مرة أخرى تتصاعد زفراتها وتخفى دموعها وتهمس لقلبها الذى لم يفهم نفسه بعد ، بل وتعاود الهمسات قائلة:

« أماه .. يا اماه .. كم ارجو أن اغدو مثلك . »

ولكن تفزعها أصوات تصلها من مكان بعيد .. أصوات مبتهجة تنادى .. لاتيكا لاتيكا .

لعلها أصوات صويحباتها ، فتفتح عينيها وابتسامة حزينة ترتسم على شفتيها ، وتسرع اليها صور حياتها التى اعتادتها ، لايمكنها أن تقاوم هذه المشاعر ، فتهب واقفة وتسرع نحوهن فيلتففن حولها فى سرور وقلبها مازال ينوء بعواطفه .

وهكذا مرت عليها اربع سنوات أخرى ، فغدت لاتيكا فى الثانية عشرة ان جسدها يبدو وكأنه مفاجأة دائمة لها ، بعد أن دخلت فى طور الشباب .. ولكن ذلك الشعور من الحنين مازال يملأ قلبها ، فهى تضطجع هناك تحت ظل الشجرة الوارقة الظلال تتأمل أغصانها المتشابكة فتهتز روحها على وقع اهتزاز أوراقها .

ثم تغلق عينيها فى بطء .. وهناك .. فى أفق تفكيرها ينهض « هو » .. ويقبل عليها وعلى شفتيه ابتسامة هادئة .. فتفتح عينيها .. وتسرع خالعة ملابسها ثم تلقى بنفسها فى الغدير ، وتزيح ذلك

الستار من زهور النيلوفر ووجهها يطفح بالأمل السعيد ، ثم تنحنى لترى صورتها فى الماء ، فتنذعنها زفرة سريعة وتتبعها بضحكة خافته .. وتنسى الزهور أن تعود الى مكانها .. بل تبقى على حالها لا تديم وهى تتأمل جسد لاتيكا ! .

وحينما تخرج من الماء تشعر وكأن هناك موسيقى تتجاوب نغماتها فى دمائها ، فتتحسس أجزاء جسدها بأناملها وهى تهمس بين شفتيها المنفرجتين وعيناها تتسعان نشوة « أن هذا كله له ! »

وتهب ريح على الاشجار ، ريح وكأنها صادرة عن همساتها تلك .. فتقف لاتيكا مذعورة ، انها تسمع همسات الاغصان وهما تردد « ان هذا كله له ! » .. حتى الحشائش الخضراء الطويلة تتماوج هامسة بدورها « ان هذا كله له .. ان هذا كله له ! »

فيغمرها الخجل ، وتغلق عينيها فى نعومة ، وتنظر أمها اليها فى دهشة وهى واقفة بالباب ثم تقول : « هلا تذهبين الى النبع يالاتيكا لتملأى الجرة فانى فى حاجة الى بعض من الماء » فترفع لاتيكا الجرة فى سكون وتضعها على رأسها ، وتخطو نحو تلك الدنيا المثيرة .. ان خفيف الاشجار وشقشقة الطيور وخرير الماء . كل هذا يتدفق نحو قلبها ، ولكنها تحاول أن تنصت فيما بينها الى وقع خطوات معينة ، تعرفها ولو انها لم تسمعها من قبل .. ولكنها تمرق منها فى زحمة هذه الاصوات ..

حتى عيدان الارز كانت تنحنى بدورها نحو حافة الطريق ، لا صقة آذانها بالارض لتستمع وقع خطواته هما الاخرى .

وتقف لاتيكا بجانب النبع ، كان هناك غيرها من الفتيات يرفعن الماء ، فاجتمعن حولها مبتهجات وهن ينشدن «سيحضر غدا .. ان عروسك سيحضر غدا » ثم يبدأن يترثرن مع بعضهن وهى ترفع الماء حالمة .

انه فى الطريق اليها ، ذلك الذى خلق لها ، ذلك الذى ولد معها بين يدى الله منذ زمن .. توأم روحها .. انه قادم اليها وراء الاجيال .

لقد تم الاتفاق على الزواج منذ عامين ، ولكنها لم تره ابدا ، انها لا تحتاج الى رؤية ، لانها تعرفه جيدا .. لطالما رسمت ملامحه بيدها فى أحلامها ..

واغلقت عينيها فى ابتسامة حالمة .. وظهر هو فى أفق تفكيرها .. قادم اليها .. على شفتيه ابتسامة هادئة .. يرفع رأسه الى السماء والنور يضىء وجهه .. انه قادم نحوها وكأنه نغمة متناسقة .. هادىء . رشيق . قوى .. مقدس

وهبط الليل من السماء الى الارض .

وتألقت الاضواء فى مصابيح القرية ..

وجاء « هو الى لاتيكا ..

وتصاعدت نغمات الموسيقى ..

وألقوا عليها رداء العرس .. وانفردا وقد ألقى كل منهما على الآخر أول نظرة تعارف . ولكن عينا لاتيكا كانتا منكستين نحو الارض . وثقلت جفونها فلم تقو على النظر اليه . كان قلبها يخفق بشدة وهى تهمس « الآن وقد

جئت فعلا فلا يمكن لعينى أن تقابلا عينيك .. ان فؤادى مثقل بالسرور .

انفض المدعوون اخيرا .. واطفئت الانوار .. اللهم الا مصباحا واحدا كان يضيء حجرتهما كان « هو » فى منطقة الظلال حينما دلفت الى الحجرة فى هدوء .. ووقفت على الباب أمامه منكسة العينين .

سمعته يقول « لقد سمعت عن عينيك الكثير ، انهما سوداوان .. غنيتان بالحنان كما يقولون . »

وازاء هذا اللوم اللطيف لم تجد لاتيكا بدا من أن ترفع وجهها اليه أخيرا

.. ثم نكست بصرها فى بطء .. وانحدر الدمع من عينيها !

ان زوجها مقعد !

سمعته يقول « ألم يخبروك اذن ؟ »

فشعرت بقلبها يتلوى الما لذلك الأسى المنبعث من صوته ، فلم تلبث أن رفعت عينيها اليه ثانية وامتلأ صدرها فجأة بعاطفة دقيقة كأنها المطر الخير يهبط على التربة الصادية ..

واذا بها تتقدم نحوه وعلى وجهها ابتسامة مشرقة وهى تقول :

« لم يخبرونى أن حاجتك الى هى السبب فى مولدى . »